الأسرة العربية في ظل التغيرات الاجتماعية بين الثبات والتغير

the family in light of the social changes between stability and change

د.إسعد فايزة زرهوني*

كلية العلوم الاجتماعية -جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم، الجزائر

****

تاريخ الإرسال:2018/12/15 **تاريخ القبول:2018/12/28** **تاريخ النشر: 31 جانفي 2019**

الملخص:

يتميز كل نظام أسري في أي مجتمع من المجتمعات بمنظومة قيمية ومعيارية خاصة به. ولأنه الفضاء الأول في خضم تنوع مشارب التنشئة الاجتماعية؛ فليس ثمّة شك بأن يكون المجال الذي تتوارث فيه الأجيال هذه القيم وهي تتعاقب جيلا عبر جيل. وإننا إذ نقف وقفة متأمل لملامسة حقيقة ما هو عليه واقع الأسرة العربية، فإننا نلمس واقعا جديدا تغيرت فيه ملامح خارطة الأسرة العربية؛ لاسيما من حيث البنية والوظيفة، وتغيرت معها بذلك طرق التنشئة وطرق نقل هذه القيم والمعايير.لذلك سنقف في هذه الدراسة النظرية على واقع هذه التغيرات التي مست العائلة العربية، ومختلف العوامل المؤثرة في تغير سبل التنشئة .

الكلمات المفتاحية :الأسرة ، العائلة ، المعايير والقيم ،التنشئة الاجتماعية، التغير الإجتماعي

Abstract :

Every family system in any society has its own value system and standard. Because it is the first space in the midst of a variety of socialization streams, there is no doubt that the domain in which generations inherit these values is passed generation by generation. In light of the reality of the Arab family, we see a new reality in which the characteristics of the Arab family map have changed, especially in terms of structure and function.

***Keywords**: family, standards and values, socialization, social change.*

*أستاذ محاضر قسم أ ، zerhounifaiza@yahoo.fr، قسم علم الاجتماع- كلية العلوم الاجتماعية - جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم

تمهيد :

تعتبر الأسرة أولى المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي، كما تمثل الرحم الأول الذي تتشكل في إطاره تصرفات وسلوكيات الأفراد، فهي التي تؤسس لنموذج اجتماعي يحمّل الأفراد على تقمص سماتها وخصائصها. وما من شك أن الأسرة العربية قد شهدت على مرّ العصور هزات شتى على مستوى أداء الأدوار في خضم توريث منظومتها القيمية والمعيارية، تعدت ارتدادات هذه الهزة إلى مستويات المنظومة الاجتماعية على اختلاف وتنوع حزازاتها. ومن نتائج هذا الارتجاج أن باتت الأسرة العربية اليوم تعيش على ثنائية متناقضة جعلتها تتأرجح في حركة رواح وغدو بين قيمها الثابتة ومجاراة معطيات التغير حتى تتمكن من تعزيز دورها ومكانتها ومسايرة نمط الحياة الجديد.

1- ماهية الأسرة :

أ- لغة:

جاء في لسان العرب أن أسرة الرجل هي عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم، والأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته. (إبن منظور،ب ت: مادة أسر/141).

ب- اصطلاحا:

وتعني أن يعيش الرجل والمرأة معا وفق علاقة شرعية تربطهما يقرّها القانون ويتبناها الدين والمجتمع. ومن التعريفات التي رصدتها لنا بعضا من المراجع؛ تعريف بيرجس ولوك "أنها جماعة من الأفراد يربطهم الزواج والدم والتبني، يؤلفون بيتا واحدا ويتفاعلون سويا ولكلّ دوره المحدد...مكونين ثقافة مشتركة " (رشوان،141:2005). ولقد نظر العديد من الفلاسفة للأسرة باعتبارها الخلية الأولى والأساسية في المجتمع، وعلى رأسهم أرسطو وأفلاطون اللذان سعيا إلى تكوين مدينة فاضلة قائمة على أساس بناء أسرة صالحة، حيث مجد أرسطو الأسرة معتبرا إياها أساس قيام المجتمع، فالأسرة صورة مصغرة له يتم في إطارها تعليم الفضائل واكتسابها، وهذا هو معنى التنشئة الاجتماعية. فيما يرصد لنا معجم علم الاجتماع تعريفا يتصور فيه الأسرة في شكل "مجموعة من الأفراد اللذين يرتبطون مع بعضهم البعض بروابط الزواج والدم والتبني وذلك من خلال عملية التفاعل الذي يتم بين مختلف الأعضاء الزوج والزوجة، الأم والأب، الأم والأب والأبناء ليكّونوا وحدة اجتماعية لها خصائص معينة (Sumpf& "Hugues,1973 :131) .بينما يذهب كل من ماكييفر وبيج إلى إعطاء

مفهوم للأسرة بوصفها " جماعة دائمة مرتبطة عن طريق علاقات جنسية بصورة تمكن من إنجاب الأطفال ورعايتهم، وقد تكون في الأسرة علاقات أخرى ولكنها تقوم على معيشة الزوجين معا وهما يكونان مع أطفالهما وحدة متميزة"(تركي، دت: 16). إذا؛ يظهر من خلال هذه التعريفات أن بناء الأسرة إنما يعتمد على قران شريكين وهما: الرجل والمرأة؛ حيث ينشأ بينهما إتحاد تقره ضوابط قانونية وأخرى اجتماعية، أما النتيجة الحتمية المترتبة عن هذا القران، ميلاد أعضاء اجتماعيين جدد. ولذلك يرى ليندبرج بأن الأسرة هي "أول الأنظمة ومن أهم وظائفها إنجاب الأطفال للمحافظة على النوع الإنساني، كما أن النظم الأخرى تمتدّ أصولها في الحياة الأسرية أي أن أنماط السلوك الاجتماعي والاقتصادي والضبط الاجتماعي والتربية والترفيه تمت أولا في داخل الأسرة "(غيث ،1965 :208). ونظر دوركايم للأسرة على أنها " مؤسسة اجتماعية يعود تكوينها إلى أسباب اجتماعية لذلك أعضاؤها يرتبطون حقوقيا وخلقيا بعضهم ببعض"(Durkheim,1921 : 6,). والتعريف الإجرائي للأسرة هي وحدة تتكون من أفراد تربطهم روابط مختلفة تتمثل في روابط الدم والقرابة ويكوّنون جماعة في إطار رابطة شرعية يقرّها المجتمع تسمى الزواج وينتج عنها أبناء شرعيين.

2-الأسرة والعائلة والتباس المفهوم :

لقد تشابكت المفاهيم في المعنى بين الأسرة والعائلة مما يدفعنا إلى استعمال مفهوم الأسرة تارة ومفهوم العائلة تارة أخرى . إن الالتباس في المفهوم يكمن فقط في اللغة العربية لأن المعنى في اللغة الفرنسية واضح حيث نقول la petite famille للدلالة على العائلة الصغيرة ونقول la grande famille للدلالة على العائلة الكبيرة ، إذ مصطلح la famille يشير إلى المفهومين الأسرة والعائلة ،في حين في اللغة العربية تشير العائلة إلى كل الأفراد الذين تربطهم روابط القرابة من أجداد وآباء وأبناء وبنات وأخوال وأعمام وأولادهم أي هو يقابل مفهوم la grande famille بالفرنسية ، أما مصطلح الأسرة فهو يشير إلى الآباء وأبنائهم أي هو يقابل la petite famille باللغة الفرنسية .فالعائلة مصطلح يعبر عن اتساعه وعمقه لأنه يشير إلى الأسرة الكبيرة التي تقيم في بيت واحد، ويشترك أفرادها في جميع الأمور الحياتية : الاقتصادية من نفقات وغيرها، كما يشتركون في الأمور الاجتماعية من تربية الأطفال .... ويكون الرأي فيها والغلبة لكبير العائلة، وبمفهوم آخر هي الأسرة الممتدة " مصطلح العائلة لا يحتاج إلى صفة تابعة ليدلّ على الجماعة المنزلية المرتبطة الوجود بالحياة التقليدية التي تميزها عن غيرها "(

حمداوي،2005 :197).أما مصطلح الأسرة هو مصطلح معبر عما يلحقه من صفة، وبذلك يمكن القول أن العائلة تضم داخلها مجموعة من الأسر النووية التي ترتبط فيما بينها بروابط القرابة لتكون العائلة .ونشير في هذا المقام أن اللقب العائلي هو تمثيل لكل العائلة وليس فقط الأسرة المعبرة عن صفة النووية، لأنه أي اللقب مرتبط بالأجداد الجذور الأولى للعائلة .

3-الوظائف التقليدية للأسرة :

نظرا لدور الأسرة في تكوين الأفراد وتنشئتهم كانت في الماضي تمثل المؤسسة الوحيدة للتنشئة الاجتماعية لذلك أسندت لها كل الوظائف :

أ- الوظيفة الاقتصادية :

كانت الأسرة قديما تلعب وظيفة اقتصادية هامة ،لأنه لم يكن باستطاعة الفرد حتى بعد بلوغه وزواجه أن يصبح مستقلا عن أسرته. حيث ونظرا للملكية الخاصة للأراضي وانتشار الحرف كان الأبناء يعملون في ملكيتهم، وكان الأب هو رب البيت وله السلطة العليا الاجتماعية والاقتصادية لأنه المعيل الوحيد للأسرة لأنه ينفق على أبنائه وزوجاتهم وأبنائهم ،ويظل الجميع تحت سيطرته .

ب- وظيفة منح المكانة :

إن المركز الذي كانت تحتله الأسرة جعل أفرادها يستمدون مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم، لأنه كان اسم الأسرة يلعب دورا مهما، فكان الفرد يعرف باسم أسرته بصفته عضوا فيها وليس بمعزل عنها .ومثال على ذلك عند تقدم شاب لخطبة فتاة يسأل والدها عنه وعن عائلته والعكس صحيح ،لأن جزء من عائلته."تقوم الأسرة بإعطاء أفرادها المراكز الاجتماعية التي تخلع عليها من اسم، وعنصر، وجنسية، وديانة، ووضع طبقي، ومحل إقامة وغيره" (القصير، 1999: 70 نقلا عن دسوقي،1971 :449)

ج- الوظيفة التعليمية –التربوية :

كانت الأسرة على مرّ العصور الوحيدة التي تشرف على تربية الأطفال وتعليمهم فعلى مرّ الحضارات كانت الأسرة تحتلّ مكانة أساسية كمؤسسة تربوية تهتم بتربية الأطفال وتنشئتهم وتعليمهم .وكانت المؤسسة الوحيدة التي تقوم بهذه الوظيفة قبل ظهور مؤسسات التنشئة الأخرى .

د- وظيفة الحماية :

عملت الأسرة على مرّ العصور على توفير الحماية لأفرادها، ففي المجتمعات البدائية كان الفرد يعيش في جماعات ولا يمكنه العيش بمفرده بحثا عن الحماية، وفي مختلف الحضارات القديمة كان طرد الفرد من العائلة بمثابة الموت بالنسبة له نظرا لما كانت تمثله العائلة في تصورات أفرادها وخصوصا توفير الحماية لهم .لأن الأب لم يكن يتولى الحماية الجسمانية فقط لأفراد عائلته وإنما الحماية في كل الجوانب، لذلك لم يكن بإمكان الفرد الانفصال عن أسرته وكان دائما تابعا لها . .

4- جوهر العلاقة بين الفرد والأسرة والمجتمع :

بما أن الأسرة هي أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية لما لها من وظائف وأدوار تلعبها فهي تؤثر على الفرد والجماعة :

- ✓ **علاقة الأسرة بالفرد :**

تبنى الأسرة على أساس مجموعة من العلاقات تربط أعضائها ببعضهم البعض، وتلعب هذه العلاقات دورا مهما في تنمية شخصية الأفراد في إطار التفاعل الاجتماعي من خلال التنشئة الاجتماعية، وهنا تظهر أهمية الأسرة بصفتها أهم مؤسسة من مؤسسات التنشئة. كونها المؤسسة الأولى التي يحتك بها الطفل والتي تنقل له قيم ومعايير وثقافة مجتمعه وتنمي شخصيته الفردية وفق الشخصية الجماعية، ولكن الفرد كذلك مهم لأنه أساس بناء الأسرة ، وهو الفاعل والحامل والناقل لتراث المجتمع، وقد لعبت الأسرة التقليدية دورا مهما في تحقيق الوحدة والتماسك بين أفرادها من خلال ما تقدمه لهم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، إذ كان يشترك أفرادها في تربية الأطفال " لا يتلقى الفرد الرعاية والحماية من والديه فحسب بل يتلقى ذلك من كافة أفراد العائلة ،ولا تمارس التنشئة الاجتماعية عليه من قبلهما وحدهما ،بل من كلّ الأفراد الرّاشدين الذين تشملهم العائلة "(الحسن، 2005 :59) كما عملت على جعل الفرد يتكيف مع بيئته من أجل تحقيق الانتماء والوصول إلى الرضا الاجتماعي في الوقت ذاته. ومما سبق تظهر علاقة الفرد بالأسرة كونه الأساس الأول في بناء وتكوين الأسرة ، أما الأسرة فهي المؤسسة الأولى التي تساهم في تكوين شخصية الفرد وتعمل على تشربيه أهم قيم ومعايير مجتمعه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية . فالعلاقة بينهما هي علاقة جدلية يكمل فيها كل عنصر الآخر.

- ✓ **العلاقة بين الأسرة والمجتمع :**

لقد لعبت الأسرة على مرّ العصور دورا أساسيا في تحديد الشخصية العامة للمجتمع ،وتحديد طبيعته " فالعائلة تعتبر من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع وتتفاعل مع باقي المؤسسات البنائية تأثرا وتأثيرا"(حمداوي 2005: 375). وبما أن الأسرة هي أساس عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد فإنها تساهم في رقي المجتمع وتطوره من خلال التربية السليمة لأفرادها لأن صلاح الفرد من صلاح الأسرة، ويظهر تأثير المجتمع في الأسرة من خلال ما يقدمه لها من قيم ومعايير والتي ينبغي أن تتقيد بها لتكون وحدة أساسية فيه تقوم بالوظائف المؤهلة لها، وهذا ما يجعلها تنصهر داخل المجتمع. لذلك علاقة الأسرة بالمجتمع هي علاقة جدلية " العائلة مرتبطة بالمجتمع في علاقة جدلية ديالكتيكية فهي تدعم المجتمع وتناهضه في آن واحد "(شرابي،1977 :32).

5-جدلية العلاقات داخل الهرم الأسري :

تقوم الأسرة على مبدأ التواصل الذي يضمن إستمراريتها من خلال عملية إنجاب الأطفال، هذه العملية التي تعتبر أهم وظيفة تؤديها الأسرة. كما أن عملية نقل المعايير ومنظومة القيم التي تتوارثها الأجيال مهمة في تحقيق هذه الاستمرارية، ولكن الأسرة تقوم على أساس علاقات تواصلية بين أفرادها تضمن هذه الاستمرارية، مبنية على أساس تقسيم الأدوار وقائمة على الاحترام والتعاون والحماية والسلطة داخل نظام قائم بذاته، حيث تشكل علاقة الأب بالأبناء علاقة سلطوية فوقية يتمتع خلالها الأب بالسلطة التامة على أبنائه سلطة كريزماتية، فهو القائد الروحي للجماعة ،المنظم لأمورها والضابط لسلوكيات أفرادها والحريص على الالتزام بقواعد الجماعة وما على الأبناء إلا احترام وطاعة أوامره والخضوع والمثول لسلطته" البطريق (الأب) لا يرد ولا يعاكس في قراراته والأبناء والأحفاد يمثلون البنية القصوى في هذا الجسم، فالسقف والجدران والبنات وزوجات الأبناء والحفيدات الكلّ يمثل القاطع الداخلي لهذا البناء"(بوتفنوشت، 1984: 48). فهذه العلاقة بين الآباء والأبناء مبنية على طابع السلطة الفوقية حيث صاحب السلطة في المجتمع هو الذي له الحكم والباقي يمتثل، وقد شغل الأب على مرّ العصور هذا الدور وهذه المكانة كما أنه وعلى مرّ العصور تمركزت في يده السلطة المطلقة داخل نظام مبني على أساس الهيمنة الذكورية. ولكن رغم ما يملكه الأب من سلطة في الوقت الراهن ورغم كونه القائم على تنظيم أمور الأسرة إلا أن سلطته لا تشبه سلطة الأب في الحضارة الرومانية، ولا يمكنها أن تشبه سلطة الأب

العربي في العصر الجاهلي لأن في تلك الفترات تجسدت السلطة الأبوية بمفهومها الحقيقي حيث الأب كان له حق أن ينسب إليه من يريد من أبنائه كما له الحق أن يخرج من نسب العائلة أي فرد منها وكان ذلك بمثابة الموت للأفراد ، لذلك كان يعكس الأنا الأعلى في الأسرة " المجتمعات التاريخية القديمة تطور محور القرابة فأصبح مرتكزا على مبدأ العصبية فكان الأب هو محور القرابة وكانت المصطلحات الاجتماعية معززة لسلطة الأب "(الخشاب ،20:2008) . أما الأم فلا تقل مكانتها عن مكانة الأب، ذلك أنها الوسيط بين الابن وأبيه، حيث لا يمكن للابن أن يجالس والده ويحدثه في أمر يخصه بل تتولى الأم هذه المهمة، كما أنها المسؤولة على تربية الأطفال وتنشئتهم والمسؤولة على نقل المعايير والقيم لأبنائها، والمسؤولة على فرض الخضوع لسلطة الأب والامتثال لها، فالأم هي التي تلعب دورا في تجسيد سلطة الأب والحفاظ عليها وتصويرها لأبنائها وتجعلهم يهابون والدهم وذلك من خلال تخويفهم من العقوبات التي تنتظرهم عند الخروج عن طاعته. فهي الحافظة لمكانة الأب ودوره في الأسرة. وهذا ماجعل مكانتها أساسية ودورها بارز في عملية التنشئة فهي على حد قول الشاعر حافظ إبراهيم مدرسة :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وعلى مرّ العصور اعتبرت الأم الحامل الأول للتراث الاجتماعي والثقافي للمجتمع ومنظومته القيمية والمعيارية، فالأم وإن لم تكن تتمركز حولها السلطة إلا أنها تمثل بالنسبة لأبنائها الأساس الأول في البيت والدعامة الأساسية له، لأنها أحد الركائز التي تقوم عليها الأسرة، وبذلك فإن طاعتها واحترامها أمر مقدس لدى الأبناء خصوصا في المجتمعات العربية الإسلامية حيث ربط الإسلام مكانتها بالدخول للجنة، مما جعل موقعها أساسي وفرض احترامها وطاعتها. كما أن مكانتها هذه حددتها ضروريات الحياة منذ العهود الأولى ومنذ أن كانت الأسرة في ظل النظام الأموسي. وهنا يتجلى مفهوم الولاء الاجتماعي إذ يعتبر الخضوع للأسرة وعلى رأسهم الأب والأم أهم خصائص المجتمعات العربية الإسلامية عامة بمقتضى ما جاء به الدين الإسلامي عندما ربط عبادة الله بطاعة الوالدين لقوله تعالى في سورة الإسراء الآية 23 " وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا ". فالأم هي التي تعمل على ترسيخ قيم المجتمع ومعاييره من خلال التنشئة الاجتماعية فبمبدأ"الحياء" تمكنت الأم ولازالت تحافظ وتحمي عائلتها وتضبطها كما بفضله تحاول أن تجعل أبناءها يحافظون على قيم ومعايير

مجتمعهم، وهذا ما يعطي صورة السلطة الرمزية التي تخلفها عملية التنشئة الاجتماعية حتى لو كانت هذه السلطة قد دخلت عليها تغيرات بفضل انتقال الأسرة من ممتدة إلى نووية، وذلك لأن الأسرة الممتدة كانت تقوي الرباط الاجتماعي وبالتالي تقوي الضبط الاجتماعي لذلك يتجسد مفهوم الولاء الاجتماعي . فمقومات التواصل داخل الأسرة تقوم على الركيزتين الأساسيتين وهما الأب والأم اللذان يتقاسمان الأدوار من أجل تحقيق استمرارية الأسرة وهذه الأدوار تحدد العلاقة القائمة بين أفراد الأسرة والتي تحكمها الهيمنة الذكورية . وتحدد الأدوار داخل الأسرة، وتتحدد معها مكانة الأفراد بحيث تكون الغلبة للذكور، ويمثل الأب في إطار هذه الغلبة القائد الروحي تتجسد في يده السلطة الكارزماتية، تم تليه الأم والتي تتمتع بأدوار تابعة لأدوار الأب وبعدها الأبناء الذكور والذين يجسدون ثان سلطة بعد الأب، وبذلك يعملون على استمرارية الهيمنة الذكورية، وقد عبر بارسونز عن ذلك عندما وجد أن هناك تباين في الأدوار حيث هناك أدوار رئيسية وأدوار تابعة. وتقسيم الأدوار هذا يجعل الأسرة تستمر وهو يظهر جليا في الأسرة التقليدية والذي يكمن خصوصا في فصل الذكور عن الإناث ولكن تبقى أدوارهم متكاملة " السلطة الذكورية لا يمكنها أن تخفي حقيقة أن الرجل والمرأة يكملان بعضهما البعض من أجل حسن سير العائلة ",(lalonde, 1944 :186). وداخل هذا النسق الهرمي الذي تتحدد في إطاره الأدوار تتحدد عملية الضبط الاجتماعي وعملية التنشئة لنقل منظومة القيم والمعايير وفي إطار العلاقات الأسرية يتم تطبيق هذه المنظومة المعيارية وتجسيدها في إطار مفاهيم الطاعة والامتثال والخضوع للسلطة الأسرية، وهذه الصورة للأب تجسدت منذ العصور القديمة " إن الاحترام والتقدير الذي يوليه أفراد الأسرة لمكانة الأب وفي طليعتهم الأبناء المتزوجون ،هو دفاع عن مكانتهم التي هي مؤهلة للتعزيز بمرور الزمن"(حمداوي :391).

6- خصائص العائلة العربية التقليدية :

تشمل العائلة التقليدية على الزوج والزوجة والأولاد غير المتزوجين بالإضافة إلى المتزوجين منهم، وزوجاتهم وأطفالهم وأحيانا حتى الأجداد والأعمام والعمّات، وعلى أساس ذلك فإن العائلة العربية التقليدية كان يحكمها مبدأين: العصبية والقرابة. فكانت العائلة مرتبطة بروابط قوية سواء قرابية أو عصبية مع باقي العائلات الأخرى، وتزداد هذه الروابط مثانة إذا تعلقت بروابط الدم، وهنا يتجلى التماسك الاجتماعي خصوصا من خلال شكل الزواج الذي كان سائدا في تلك الفترة وهو الزواج بأبناء

العمومة أي الداخلي لضمان استمرارية اسم العائلة، وحفاظا على الميراث حتى يبقى داخل العائلة فمثلت بذلك وحدة جماعية. وهذا التماسك تحت رابطة الدم ووحدة الملكية جعل الأفراد يجتمعون ويحولون كل ما هو خاص إلى عام فكان الكل يعمل لأجل المصلحة العامة يقول محمد الطيبي " أولوية القرار العائلي على القرار الفردي في مسألة التصرف بأراضي الملك جعل من هذه الأراضي إسمنت العائلة وأحد أسس ترابطها "(الطيبي،1992 :17) ، كما أن العيش في سكن واحد كان يحتم على جميع الأفراد التعاون والتضامن في كل الأمور الدنيوية وأولها التعاون في تربية الأطفال وتنشئتهم مما نمى روح الجماعة وقضى على مبدأ الفردانية، وكان الأب هو المسيطر وصاحب السلطة لذلك تميزت بكونها عائلة أبوية باطريكية، كما أن ذلك فرض الهيمنة الذكورية بامتياز إذ تتربع السلطة في يد الذكور سواء في إتخاد القرارات أو في النفقة على البيت وغيرها، وعلى هذا الأساس كانت العائلة التقليدية هرمية وطبقية فالمكانة العليا في السلم الهرمي يحتلها صاحب السلطة الذي يشترط فيه أن يكون كبيرا في السن وذكرا "يحتل الأب رأس الهرم ويكون تقسيم العمل والنفوذ والمكانة على أساس الجنس والعمر"(بركات،1984 :179). كما لعبت مكانة العائلة دورا مهما في تحديد مكانة أفرادها إذ كان يعرف الفرد ومركزه من خلال اسم العائلة ومكانتها فكان الفرد تابعا لأسرته ويتحدد مركزه انطلاقا من مركزها " كان لا يحدد مركز الشخص كفرد معزول ولكن ينظر إليه كعضو في أسرة محددة معينة، إذ كان اسم الأسرة هو المهم والمؤشر وليس اسم الشخص الفرد فاسم الأسرة يمثل بطاقة تعريف " (بيري، 1998 :71). وأعتبرت العائلة التقليدية وحدة إنتاجية واستهلاكية قائمة على الاكتفاء الذاتي حيث كانت العائلة تستهلك كل ما تنتجه. وعموما استمدت العائلة التقليدية خصائصها من خصائص المجتمع العربي الإسلامي الذي يقوم أساسا على المرجعية الدينية والتي تجعل القوامة في يد الذكور لقوله تعالى في سورة البقرة الآية 228 "وللرجال عليهن درجة" وقوله في سورة النساء الآية 34 " الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض " بحكم أن الدين يجعل الذكور يأخذون الدور القيادي، وتعتبر هذه المرجعية المحدد الأول للأسس والقيم والمشرع لها، وبذلك يصبح الدين المرجعية الأولى لمختلف أسس المنظومة القيمية والمعيارية.

7-المنظومة المعيارية والقيمية وآليات التغير:

تقع منظومة المعايير الاجتماعية بين ثنائيتين متناقضتين هما التحديث والتقليد، مما يجعل العائلة تقع في تناقض بين ضرورة امتثال الأفراد للقيم والمعايير ومحاولة هؤلاء مسايرة التحديث، ويعرف التحديث على أنه "انتقال المجتمعات التقليدية والبسيطة إلى الاستعانة بنماذج التكنولوجية والآلية وما يتبع ذلك من تغيرات في التنظيمات الاجتماعية والبنية الثقافية "(إبراهيم،2009 :191)

ومقابل هذا المفهوم يوجد مفهوم التقليد الذي يعني التمسك بالممارسات الماضية ،فتتناقض المنظومتان القيمية والمعيارية بين ماهو أصيل وماهو حديث وذلك نظرا لرغبة المجتمعات في التغيير، فيجد الأفراد أنفسهم يتأرجحون بين ما هو تقليدي وما هو حديث، بين الرغبة في مواكبة التجديد وضرورة التمسك بما هو تقليدي "الفرد معرض لحركة ذهاب وإياب مستمرة ،تؤرجحه بين العودة المستحيلة إلى الماضي والوجود المستحيل في هذا الزمن المعاش للتقدم المستهدف جماعيا "(لشرف، 1983 :318).

8-العائلة العربية والتغير الإجتماعي :

إن أي تغير يصيب المجتمع لابد وأن يؤثر على العائلة في تركيبها ووظائفها إضافة إلى تأثيره على المنظومة القيمية والمعيارية، وتتحكم عدّة عوامل في تغيير العائلة العربية أفرزتها متطلبات الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي .....فالعائلة العربية على مرّ العصور عرفت عمليات التغيير في بنيتها ووظائفها مما أثر على المنظومتين القيمية والمعيارية، وقبل تحديد هذه العوامل ينبغي معرفة مفهوم التغير.

التغير حسب هيراقليطس هو" قانون الوجود وأن الاستقرار موت وعدم وشبه التغير بجريان الماء ،فقال أنت تنزل إلى النهر الواحد مرّتين ،فإن مياه جديدة تجري من حولك " (غنيم ،2008 :22). أما هيجل فإنه رأى " أن الأشياء متناقضة في حدّ ذاتها وأن الشيء لا يكون حيا إلا من حيث اشتماله على التناقض "(الزعبي، 37:1978). ويشير مصطلح التغير إلى "تلك العملية المستمرة والتي تمتدّ على فترات زمنية متعاقبة يتم خلالها حدوث اختلافات وتعديلات معينة في العلاقات الإنسانية أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية "(الطنوبي ،1995 :60). وقد اختلف المفكرون في تحديد مدلول التغير لأنهم دمجوه بالنمو والتطور والتقدم "إلا أنه ومع مرور الوقت بدأ العلماء

يستخدمون مصطلحا محايدا لا يحمل معنى التقييم وإنما يصف التغيير كما يحدث في الواقع دون أن يشير إلى التقدم أو التخلف "(الخولي، 2003 :13).

9-العوامل المؤثرة في تغير العائلة العربية :

لقد اشتركت جملة من العوامل في تغير العائلة العربية :

أ- العامل السكاني : إن زيادة معدل السكان في الدول العربية أدى بشكل مضطرد إلى تغيير في الملامح الأسرية خصوصا مع زيادة عدد الإناث وانخفاض معدل الذكور. إذ مما لا شك فيه أن "توزيع الجنس له دخل كبير في تغيير الأسرة، وقد تبين من عدد من البحوث أن معدل الزواج يرتفع كلما كان عدد الذكور أكثر من الإناث ،كما أن زيادة الذكور أو نقصهم في مجتمع ما يؤدي إلى تغييرات ملحوظة كارتفاع أو انخفاض معدلات الزواج "(الخولي ،1984 :127). كما أن تغير سن الزواج أثر على الإنجاب مما أحدث تغيرات على مستوى الأسرة والعائلة .

ب- العوامل الاجتماعية : مع ظهور التصنيع؛ أخذت ظاهرة النزوح من الريف إلى الحضر بعدا بنائيا وظيفيا غير من نموذج المجتمع التقليدي. وما من شك أن "الهجرة المتزايدة إلى المدن وما ترتب على ذلك من تحرر من الروابط التقليدية والقرابية وما أتاحته فرصة تعليم المرأة وخروجها للعمل، كل هذا انعكس بدوره على الأدوار، وما حققته المرأة من استقلال اقتصادي وما صاحبه من استقلال عاطفي واجتماعي وانعكس هذا أيضا على دور الطفل في الأسرة والمجتمع "(بيومي ، 2003 :215 ، 216). ولقد أدى نزوح الأفراد من الأرياف إلى المناطق الحضرية إلى الانسلاخ عن سلطة الضبط الأسري والتحرر من مختلف الروابط الأسرية التي كانت تجعل الفرد تابعا لأسرته. كما أن خروج المرأة للعمل يعد عاملا مهما يكون قد ساهم بشكل أو بآخر في التأثير على الأدوار داخل الأسرة وتربية الأطفال، فبعدما كانت المرأة في تبعية إجتماعية وإقتصادية لزوجها أو للحمو في بعض العوائل، أصبحت اليوم تتمتع بنوع من الإستقلالية الذاتية في كنف الأسرة النووية، كما أن قدرتها اليوم على المساهمة في نفقات البيت منح لها هامشا من الحرية إلى درجة التخلي عن أحد أدوارها المهمة وهي: تربية الطفل؛ وإيلاء هذا الدور إلى رياض الأطفال والمربيات ولم تعد حبيسة الجدران بل أصبحت تساهم في تطور ورقي المجتمع.

ج- العوامل التكنولوجية : لاشك أن تحول الأسرة العربية من شكلها التقليدي الممتد إلى شكلها النووي الحديث، كان بفعل أحد العوامل الذي نحسبه في منظومة

التكنولوجيا التي بدت ملامح تأثيرها بارزة. ذلك أن تغلغل المجتمع العربي في أفق المجتمع التكنولوجي قد برهن مرة أخرى على ملائمة" الأسرة النووية تتلاءم مع جوّ المجتمع الصناعي أكثر من الأسرة الممتدة "(الحسن :206). فقلد أصبح الزوج والزوجة في كنف الأسرة النووية يتمتعان بفكر مستقل، بيت مستقل والتصرف باستقلالية، كل شيء يدعو إلى الاستقلالية. بالمقابل؛ فإن النموذج التكنولوجي قد قضى على اللحمة العائلية التي كانت تجمع وشائجها الملكية العائلية. حيث كانت الأرض هي رأسمال العائلة التي يعود عليها بالاكتفاء الذاتي، ليس ذلك فحسب؛ وإنما كانت الأرض هي من يحقق تجمع أفراد العائلة لخدمتها. إذا؛ لقد قضى التصنيع على هذه التبعية، فاضمحل العمل الزراعي وقلّت الحرف التقليدية، فقد"قضى الإنتاج

الصناعي الكبير على وظيفة الأسرة الاقتصادية في المجتمع الحضري وتحولت الأسرة فيها إلى وحدات استهلاكية خالصة بدرجة كبيرة بعد أن هيأ المجتمع منظمات جديدة تقوم بعمليات الإنتاج الآلي وتوفير السلع والخدمات "(حسن ،1977 :15). فتحولت بذلك الملكية الجماعية إلى ملكية خاصة ساهمت في تحقيق الاستقلالية للأفراد والقضاء على التبعية الاقتصادية والاجتماعية. وفي الوقت الذي كان فيه تحصيل المعاش قائما على الإنتاج الزراعي والحيواني والذي لن يكون إلا بتضافر جهود من تجمعهم علاقات القرابة، "نزحت الأسرة إلى الوسط الحضري المختلف عن الوسط الريفي ونمو اجتماعي واقتصادي استهلاكي يقوم بالدرجة الأولى على علاقات القرابة ويعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على الاقتصاد والتجارة ويحكمه العمل المأجور "(السويدي ،1990 :89) ولعلها سمات من أوجه التغيرات التي عرفتها العائلة والأسرة العربية. ومن أوجه التغيرات التي أضحى يشهدها الواقع الجديد للعلاقات الاجتماعية، اقتحام المرأة سوق العمل من بابه الواسع ومساهمتها جنبا إلى جنب الرجل في تحمل قدر من مسؤولية البيت وتغطية بعض النفقات، فلم يعد بوسع الرجل أن يفرض سلطة مطلقة على زوجته أو بناته، فلقد أصبحت " لم يعد للرجل السيطرة المطلقة إذ أصبح للمرأة مكانة جديدة تمكنها من المشاركة وإتخاد القرارت "(نخبة من المختصين،2008 :484). جعلها تتبنى أفكارا جديدة، ونمط حياتي جديد فتغيرت بذلك مفاهيم الدور لدى الجنسين ومن ثمّ تغير مفهوم تقسيم العمل "التغييرات الاجتماعية خلقت امرأة لها مميزاتها وخصائصها النفسية والفكرية المختلفة عن خصائص المرأة التقليدية قديما والتي كان محيطها الأسرة والأهل والمنزل "

(نعامة ،1984 :50). كما أن خروجها للعمل جعلها تحقق ذاتها من خلال استقلاليتها الاقتصادية " تطور ومكانة المرأة مرتبطة بخروجها للعمل وتحصلها على دخل خاص يجعلها تكتسب وعيا بذاتها"

(Benatia,sd :45-50). لقد ساهم التصنيع في تقليص حجم الأسرة، فبعدما كانت الأسرة العربية ممتدة عرفت مع التغيرات قيما وسلوكيات جديدة فتحولت مع التغيير إلى أسر نووية، وفقدت بذلك الأسرة الممتدة خصائصها المشتركة والتي كانت تجسد تماسكها ووحدتها وتضامنها وظهر المسكن المستقل (الفردي)، وسادت الفردانية في العلاقات بدل اللحمة الاجتماعية. مما أثر على أشكال التنشئة الاجتماعية وأضعف الروابط الأسرية فتفكك التماسك الأسري وضعفت العلاقات الداخلية وأثر ذلك على عملية نقل القيم والمعايير، كما خفّت تلك السلطة التي كانت تحتم ممارسة هذه المعايير بعد تحقيق الأفراد استقلاليتهم الاقتصادية والاجتماعية عن الأسرة الممتدة، وخروج المرأة للعمل غير من دورها كحاملة وناقلة للتراث بعدما كانت الأسرة هي المؤسسة الوحيدة للتنشئة الاجتماعية فشاركتها مؤسسات أخرى وعلى رأسها وسائل الإعلام التي ساهمت في تأكيد الاحتكاك الثقافي، بما أصبحت تبثه من برامج متنوعة قد تضرب القيم والمعايير في جذورها وتجعل الفرد في صراع بيو- ثقافي مع محيطه. وبعد ضعف وسائل الرقابة ضعف الضبط الاجتماعي. ويمكن دمج كل هذه التغيرات فيما يلي:

- تحوّل الأسرة الممتدة إلى نووية ..

- خروج المرأة للعمل ومشاركتها الرجل في الأمور الحياتية "كان وضع المرأة في الحياة الاجتماعية أكثر المراكز تغييرا خاصة في نصف القرن الأخير، فقد نزلت المرأة إلى ميدان العمل وذاقت حلاوة الكسب وشعرت بقيمتها الاقتصادية ،وبأنها أصبحت سيّدة موقف تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها "(شكري، 1992: 169).وهذا ما جعل المرأة عنصرا فعالا في المجتمع .

- تعليم الفتاة الذي جعلها تساهم في التنمية والوصول إلى أعلى المراتب بعدما كان تواجدها حكرا على البيت .

- تراجع السلطة الوالدية مع اضمحلال التبعية الاقتصادية والقضاء على الملكية للأرض حيث أصبح لكلّ فرد كيانه وأتبث ذاته مما أثر على طرق التنشئة الاجتماعية .

الخاتمة :

لقد مسّت التغيرات الاجتماعية والثقافية كيان الأسرة العربية في بنيتها وشكلها ووظائفها، مما أثر على التركيبة الاجتماعية والمنظومة المعيارية وذلك من خلال تغيير الأساليب التنشئوية، نتيجة تظافر جملة من العوامل أدّت إلى تحويل المفاهيم والأطر العامة وحتى الأفكار والعلاقات بين الأفراد مما نتج عنه تغير في الأدوار وتقسيم الأعمال. وكانت هذه التغيرات نتيجة حتمية لمخلفات التصنيع والتكنولوجيا المتطورة. وتعتبر الحضرية من العوامل التي ساهمت في التأثير على الأسرة باعتبارها سلوك اجتماعي عرفته المجتمعات الحديثة مع ظهور الثورة الصناعية والتي ساهمت في تغير العلاقات الاجتماعية التي تغلب عليها الروح الفردية عوض الجماعية. ويظهر ذلك فعليا في ابتعاد الأسرة التقليدية عن وحدتها القرابية وتقلص حجمها واستقلال أفرادها ذاتيا وذلك أحدث تغيرا في الأدوار والمراكز للأعضاء داخل الأسرة .ولكن مع ذلك ينبغي التنويه إلى أنه لا تزال بعض العائلات في الوسط الريفي لم يجرفها تيار التغير ولا زالت محافظة على نمطها المعيشي، وبنيتها وكيانها التقليدي .

قائمة المراجع :

المراجع باللغة العربية :

- إبن منظور.**لسان العرب** .مادة أسر141/1

2- إبراهيم ، محمد عباس .(2009). **التحديث والتغيير**. دراسة في مكونات القيم الثقافية . الإسكندرية . دار المعرفة الجامعية.

2- الحسن ،إحسان محمد .(2005) .**علم الإجتماع العائلي**. ط1. الأردن. دار وائل للنشر.

3- الخولي ،سناء .(1984). **الأسرة والحياة العائلية** . بيروت. دار النهضة العربية .

4- الخشاب ،سامية مصطفى .(2008). **النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة** . القاهرة . الدار الدولية للاستثمارات الثقافية .

5- الخولي، سناء .(2003).**التغير الاجتماعي والتحديث** . الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية.

6- الزعبي ، محمد أحمد .(1978).**التغير الاجتماعي.** ط1. بيروت. دار الطليعة للطباعة والنشر.

7- السويدي، محمد. (1990). **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية

8- الطيبي، محمد. (1992). **الجزائر عشية احتلالها أو سوسيولوجيا قابلية للاحتلال** . وهران. وحدة البحث في الأنثربلوجيا الاجتماعية والثقافية .

9- الطنوبي، محمد عمر. (1995). **التغير الاجتماعي** . ط1 . الإسكندرية . منشأة المعارف .

10-القصير ، عبد القادر (1999). **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية . دراسة** ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري .بيروت. دار النهضة العربية . نقلا عن الدسوقي ،كمال(1971).**الإجتماع ودراسة المجتمع**. الإسكندرية. مكتبة الأنجلو.

11- الوحيشي، أحمد بيري .(1998). **الأسرة والزواج . مقدمة في علم الاجتماع العائلي** ليبيا.الجامعة المفتوحة .

12- بركات ، حليم .(1984). **المجتمع العربي المعاصر.** بحث استطلاعي اجتماعي. مركز بيروت . دراسات الوحدة العربية .

14- بوتفنوشت ، مصطفى .(1984). **العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة** . تر أحمد دمري. الجزائر ديوان. المطبوعات الجامعية.

15- بيومي، محمد أحمد و ناصر عفاف عبد العليم .(2003). **علم الاجتماع العائلي** . ط1.الإسكندرية . دار المعرفة الجامعية .

16- تركي ،عبد الفتاح موسى .(بدون تاريخ) . البناء الاجتماعي للأسرة . المكتب العالمي للنشر والتوزيع .

17- حمداوي ، محمد . (جوان 2005). **البنيات الأسرية ومتطلباتها الوظيفية في منطقة بني سنوس في النصف الأول من القرن 20** . قرى العزايل نموذجا . دكتوراه دولة في علم الإجتماع . وهران .جامعة السانيا .الجزائر.

18- حسن ، محمد .(1977). **رعاية الأسرة** . الإسكندرية . دارالكتاب الجامعية

19- رشوان، حسين عبد الحميد أحمد .(2005). **المجتمع دراسة في علم الاجتماع** الإسكندرية . المكتب الجامعي الحديث.

20- شكري ،علياء. (1992).**الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة**. دار المعرفة الجامعية المصرية .

21- شرابي ،هشام .(1977). **مقدمات لدراسة المجتمع العربي** . بيروت .الأهلية للنشر والتوزيع.

22- غنيم، رشا. (2008). **التكنولوجيا والتغير الاجتماعي** . ط1.الإسكندرية . دار المعرفة الجامعية .

23- غيث ، محمد عاطف .(1965) . **دراسات إنسانية واجتماعية** .القاهرة. دار المعارف

24- لشرف ، مصطفى .(1983).**الجزائر .الأمة .المجتمع** .الجزائر .المؤسسة الوطنية للكتاب.

25- نعامة، سليم .(1984) . **سيكولوجية المرأة العاملة** . بيروت .أضواء عربية للطبع والنشر.

26- نخبة من المتخصصين. (2008).**علم الاجتماع الأسري**. القاهرة .الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.

المراجع باللغة الفرنسية :

1- Benatia, F. (sd). **le travaille féminin en Algérie** . Alger. sned .

2- Durkheim, E.(1921). **la famille conjugale** , revue philosophique ,janvier – février ,;paris.

3- Lalonde, M. (1944). **comprendre la société**. paris . Ridact sociologie.

4- Sumpf, J et Hugues M. (1973). **Dictionnaire de sociologie** . paris. librairie larouss